المجلة العربية
لنشر الابحاث والعلوم

القضية الفلسطينية من منظور الشريعة الإسلامية

د. صفية محمد بانقا احمد

ISSN:2518-5719 @ arsjournals.com ✉ arsjournals.com

المقدمة:

من أهم اهتمامات المسلمين في العالم العربي والغربي هو قضية فلسطين، بما فيها من القدس الشريف وبيت المقدس، فضلاً عن قدسيتها وأهميتها عقيدة وتاريخاً وحضارة، وهذه مشكلة تؤثر على جميع المسلمين، وليس الفلسطينيين فقط، ولها أبعاد عقائدية وتاريخية وثقافية، وهي هدية للإسلام لا ينبغي لأحد أن يتجاهلها أو يتخلى عنها.

وعلى مر العصور، كانت فلسطين مصدرًا للصراع على نطاق عالمي، حيث كانت مقياسا لمعارف البلاد وطموحاتها ومستويات الضعف والتراجع، وإن فعالية الأمة وقوتها وتكاتفها وتماسكها تظهر من خلال الانتفاضات والجهاد والحرية، وقد كانت الأرض وطرد القوة المحتلة لها من المؤشرات على تشتت البلاد وتراجع كفاءتها. (ملحم، 2019)

ونكتشف أن القضية الفلسطينية بدأت قبل 75 عاما، عندما تم وضعها تحت الاحتلال الصهيوني عام 1948م، خلال هذه الفترة مارس الاحتلال كل ما يستطيع القيام به من قتل وسفك دماء وإزهاق أرواح، وانتهاك حرمة المقدسات واقتحامها بجرأة غير مسبوقة في محاولة لتقسيم المنطقة، كما كان هدف الاحتلال من الأقصى الشريف هو دمار البنية التحتية إلى أجزاء كبيرة من فلسطين، وخاصة قطاع غزة.

وخلال هذه الفترة، كان هناك نقص في الوحدة والانقسام بين الفصائل الجهادية في مواجهة المحتل الغاصب، بمستويات متفاوتة من القوة والضعف. وبهذا المعنى تمت الاتفاقات وعقدت المؤتمرات بين فصائل التحرير والجهاد، لكنها في النهاية فشلت في تحقيق الجهاد المطلوب والوحدة المنشودة، خاصة في العقود الأخيرة من وجود القضية للتحرير. (أبو زيد، 2022)

وعند النظر إلى القضية الفلسطينية من منظور الشريعة الإسلامية، نرى أن الرؤية المناسبة أدق وأصوب للمسلمين في تفسير الأحداث الواقعة، فالأهداف التي تسعى إليها الشريعة الإسلامية تتمثل في تحصيل مصالح مجلوبة أو مفاسد متروكة، هي نفسه مقصودة للشريعة أصالةً.

ونكتشف من هنا أن الخيط الإسلامي الذي يربط مكونات الأمة الإسلامية قد تجدد بفعل القضية الفلسطينية، نظرا لطبيعتها الإسلامية وبروزها وسط الاهتمامات الوطنية، وعلى غرار الطريقة التي حوّل بها الإسلام المسجد الأقصى إلى واحد من المساجد الوحيدة التي يمكن للمسلمين الوصول إليها، أصبحت القضية الفلسطينية تهيمن على المناقشات الإسلامية، وهجرة الشعوب الإسلامية عبر جميع دول العالم الإسلامي وقاراته، وبالتالي التغلب على الحواجز التي تفرضها التوجهات الإقليمية التي تمنع الأمة من الانتصار على هذه القضية الحاسمة. (الصلاحات، 2010)

وبناء على ذلك، تبرز أهمية القضية الفلسطينية، وتبرز أهمية البحث حول القضية الفلسطينية من منظور الشريعة الإسلامية، في سبيل ترسيخ روح الجهاد والزواد عن المسلمين المستضعفين في البقاع والاراض العربية، وعدم التهاون في حق الشعب الفلسطيني في استرداد أرضه من المحتل الغاصب في ضوء تكتيم وسكوت عالمي من قبل المجتمع الدولي كنا نحن القلب النابض لفلسطين المنادي والمندد بالأفعال والانتهاكات الوحشية من قبل المحتل الغاشم وما يمارسه من سطوة وسيطرة عالمية ضلل بها المجتمع العالمي فزيف الحقاق وأنتهك الحقوق والحرمات.

ومن هنا تبلور دور الدارسين والباحثين في مجال القضايا العربية عموماً والفلسطينية خصوصاً بل كل مهتم بأمر المسلمين ويعني بشأنهم في سبيل كشف كذب المحتل المضلل وترسيخ أوصار القضية الفلسطينية الإسلامية في أذهان الأجيال العربية القادمة وتوعيتهم بمدى مكانة القدس العربي في الشرع الإسلامي الحنيف.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة الدراسة في أن حركات تطبيق الشريعة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة، مع توسعها السريع محليا وإقليميا، تثير المخاوف بشأن طبيعة الوضع السياسي الفلسطيني، الذي لا يزال غير مستقر بسبب الاحتلال الإسرائيلي، وهذا النوع يفرض على أي كيان سياسي في فلسطين وجود مبادرة لتغيير الوضع الحالي.

تتمحور القضـــايا الجديدة على الســـاحة الفلســـطينية، وربما في الســـاحات والدوائر الأكثر عمومية، حول الإمكانات التحويلية للشـــريعة الإســـلامية والدرجة التي يمكن أن تكون بها بمثابة نقطة انطلاق للإصـــلاح الفلسطيني من حيث البنية السياسية الداخلية أو مقاربات الإصلاح للتعامل مع الاحتلال الإسرائيلي.

ولم تنمو هذه الحركات وأصـبحت أكثر دلالة على تزايد شـعبية حركة حماس فحسـب، بل ابتعدت أيضًـا عن دورها التقليدي في المشاركة في الحياة السياسية الفلسطينية، مما أثار مخاوف جديدة بشأن الأدوار والأدوات الجديدة وإمكانية تطبيقها على الوضع الفلسطيني.

أهمية البحث:

إن الذين يناضـلون من أجل قضـية فلسطين سواء كانوا فلسطينيين أم لا، عرباً أم لا، من الداخل أو الخارج يجب أن يطبقوا أهداف الشـريعة الإسـلامية على القضـية الفلسـطينية، فالآن هي لحظة أفضـل من أي وقت مضـــى للقيام بذلك، ونظراً للصـــعوبات المتزايدة والمخاطر المتزايدة، وكذلك العصـــر الذي نجد أنفســـنا فيه، يسـعى هذا البحث إلى تسـليط الضـوء على هذه الفكرة في ضـوء مزاياها العديدة، وعلى هذا يمكن أن نجمل أهمية البحث الحالي في النقاط الحالية:

1- التأكيد على أن القضـــية الفلســـطينية ليســـت قضـــية فردية تخص المجتمع الفلســـطيني فقط أو حتي إقليمية تخص الوطن العربي بل هي قضـية إسـلامية عالمية تمس كل مسـلم في بقاع المعمورة يعني بشأن المسلمين.
2- التأكيد على مدى ارتباط القضـــية الفلســـطينية بأواصـــر الشـــريعة الإســـلامية وأنها جزء لا يتجزأ من الاحكام العامة للشريعة الإسلامية الغراء.
3- تناول الحقاق كشـــف الزيف والخداع والصـــعود برأي الحق والعجالة في مواجهة مجتمع دولي ســـاده التعتيم والسكوت عن رفع الظلم.
4- إثراء الفقه في مجال الدراســـات الشـــرعية والســـياســـية ببحث حول مدى ارتباط القضـــية بالشـــريعة الإسلامية والتأكيد على أنها قضية كل مسلم
5- ترسيخ الفكر النضالي والجهادي في سبيل الزاد عن الأراضي المقدسة من دنس المحتل الغاشم.

6- تنمية وعي النشء حول قضاياه العربية المعاصرة وتحيد أولوياته وتنبيههم إلا أن القضية الفلسطينية ليست مجرد قضية سياسية أو نزاع عسكري وإنما هي قضية دينية عقائدية من الدرجة الاولي تمثل حرباً على الشريعة الايدولوجية الإسلامية بشكل عام.

أهداف البحث:

يمكن النظر إلى القضية الفلسطينية من العديد من الزوايا، فهي قضية سياسية ودينية واجتماعية وثقافية، ومن خلال البحث الحالي نهدف إلى التعرف على القضية الفلسطينية من الزاوية الدينية من خلال الشريعة الإسلامية، كما يهدف البحث إلى التعرف إذا ما كان للشريعة الإسلامية أثر في توحيد الصفوف، وكذلك التعرف على الآثار السلبية التي قد يتركها الاحتلال على القضية الفلسطينية.

فرضيات البحث:

يسعى الباحث من خلال الدراسة إلى التحقق من فرضية أساسية تتعلق بالتغيير السياسي، حيث يبحث في مدى اختلاف الشريعة الإسلامية عن غيرها من الحركات السياسية والفكرية من حيث أن لها رؤية متميزة في خططها، ويتجلى ذلك من خلال الأهداف التي يعتبرها الباحث أهدافاً مرحلية، والتي تتعلق بتغيير إطار النظام السياسي الفلسطيني، وأسس السلطة، وبنية ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية، ونمط العلاقات مع الاحتلال الإسرائيلي.

منهج البحث:

سيتم استخدام المنهج الوصفي التحليلي في البحث الحالي، حيث أنه يتلاءم مع طبيعة البحث (القضية الفلسطينية من منظور الشريعة الإسلامية)، ومن خلال المنهج الوصفي التحليلي سيتم فحص الظاهرة المتمثلة في القضية الفلسطينية بدقة، والتعرف على أسباب حدوثها، بالإضافة إلى المقارنة بين إشكالية البحث والإشكالات المشابهة لها في الدراسات السابقة التي تناولت موضوع البحث، ومن ثم التوصل إلى مجموعة من النتائج وتحليلها.

الدراسات السابقة:

- **دراسة أبو زيد، (2022)، بعنوان: "مقاصد الشريعة مدخلا في جمع الكلمة لتحرير فلسطين"**

إن التعامل مع قضية فلسطين وفق الرؤية المقاصدية أمر بالغ الأهمية والأثر، فهو مهم لأنه يوفر أرضية مشتركة بين المختطفين يتلاقون عليها، ولأن النظر المقاصدي نظر معياري حاكم يفيد في التقويم والتقييم ووضع الوسائل المناسبة والحلول الناجعة التي تؤدي لتحقيق الهدف، كما أن الاتفاق على الأهداف يعين على الوحدة للعمل ضد المحتل حتى التحرير، لما للمقاصد من ميزة تقليل الاختلاف وتوسيع الاتفاق فإلى أي حد تقوم المقاصد العالية والمقاصد العامة والمقاصد الخاصة بفلسطين بوظيفة الوحدة بين العاملين لقضية فلسطين، وتسهم في الوصول للتحرير وإجلاء العدو، وما الفوائد المترتبة على تحكيم مقاصد الشريعة في النظر والعمل؟ هذا ما تدور عليه مادة هذا البحث.

وقد توصل البحث إلى النتائج التالية:

- لمقاصد الشريعة الإسلامية أهمية بالغة باعتبارها فكرا معياريا حاكما وضابطا للفقه والفتوى والاجتهاد بصورة عامة، ولمجال السياسة الشرعية بصورة خاصة، وللاجتهاد والفتوى والعمل والجهاد لقضية فلسطين بصورة أخص.
- لممارسات الاحتلال آثار سلبية على المقاصد بكل مراتبها.
- ساعد المدخل المقاصدي على وضع الخطط والاستراتيجيات اللازمة لكل مرحلة، واختيار الوسائل المناسبة وتجديدها وتغييرها.

ويوصي الباحث بمزيد من الدراسات المقاصدية التي تبين أثر تفعيل المقاصد واعتمادها منهجا للتفكير في قضايانا المختلفة الفكرية والتربوية والدعوية والجهادية والاجتماعية والسياسية؛ فإن فقه مقاصد الشريعة الإسلامية بما تتضمنه من مداخل التعليل والمصالح والموازنات والمآلات هو الفقه الحضاري على الحقيقة.

- **دراسة مراد، النصرات، (2015)، بعنوان: "واقع القضية الفلسطينية في مبحثي الثقافة الإسلامية والثقافة العامة في المرحلة الثانوية واتجاهات الطلبة نحو القدس في المدارس الأردنية"**

هدفت الدراسة إلى التعرف على واقع القضية الفلسطينية في مبحثي الثقافة الإسلامية والثقافة العامة في المرحلة الثانوية بالإضافة إلى التعرف على اتجاهات الطلبة نحو القدس في المدارس الأردنية.

وللإجابة على أسئلة الدراسة، قام الباحثان وبعد الاطلاع على الأدب التربوي باستخدام استبانة أبو عمره (2011)، وذلك بعد تعديل وتطوير بعض فقراتها بما يتلاءم مع البيئة الأردنية، حيث تكونت الأداة من (32) فقرة، وطبقت الأداة على عينة من (200) طالبا وطالبة، تم اختيارهم عشـــوائيا من مدارس مديرية التربية والتعليم المنتشرة في جميع مناطق لواء البتراء.

كما استخدم الباحثان بطاقة تحليل المحتوى المبحثي الثقافة الإسلامية والثقافة العامة للمرحلة الثانوية والبالغ عددها (1) مباحث دراسية للصفين الحادي عشر والثاني عشر الثانوي.

وقد تم استخدام النسب المئوية والتكرارات والمتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية المعالجة البيانات، كما قامت الدراسة باستخدام اختبار (ت)(T-test) ، وتحليل التباين الأحادي وذلك للتعرف على متوسط الفروق بين مجموعات الدراسة.

وبناء على النتائج أوصت الدراسة ببعض التوصيات كان من أهمها:

- تعزيز الوعي بالقضية الفلسطينية بشكل عام، والقدس بشكل خاص من خلال المناهج الدراسية، وذلك بزيادة الموضوعات المتعلقة بهما، وبما يتلاءم مع الفئات العمرية المختلفة.
- التأكيد على أن القضية الفلسطينية ليست قضية الفلسطينيين فقط، وإنما هي قضية إسلامية عربية، فهي أرض الحشد والرباط، ومهبط الديانات السماوية الثلاث، وفيها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.
- زيادة عدد الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشـــريفة المتعلقة بالقدس في المباحث الدراســـية المختلفة.
- التنوع في ذكر الموضوعات المتعلقة بالقضية الفلسطينية عامة، والقدس بشكل خاص.

- **دراسة العامودي، (2009)، بعنوان: "أهمية القدس في القرآن الكريم والسنة"**

هدفت الدراســة إلى بيان أهمية القدس من خلال القرآن الكريم والســنة النبوية، وتنبيه أبناء الأمة إلى الخطر المحدق بالقدس وفلسطين، واستخدمت الباحثة المنهج التاريخي لتوضيح مكانة القدس

وفلســـطين من خلال جمع الآيات والأحاديث التي تتعلق بالقدس وترتيبها ترتيبا يحقق لها تفســـيرا موضوعيا متكاملا.

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان من أهمها، أن القضية الفلسطينية قضية إسلامية لا تتعلق بأحد بحد ذاته، وإنما هي قضية عقائدية تخص كل مسلم ومسلمة.

- **دراسة عياش، (2009)، بعنوان: "المسجد والأقصى وقبة الصخرة وقيمتها الدينية ومكانتها في نفوس المسلمين"**

جاءت الدراسة لتؤكد مكانة القدس في نفوس المسلمين، والتي هدفت إلى تحديد قيمة المسجد الأقصى وقبة الصخرة وقيمتهما في نفوس المسلمين، واستخدمت الدراسة المنهج التاريخي لتقصي الحقائق والنصـــوص التي تبين مكانة وقيمة المســـجدين، وأكدت نتائج الدراســـة أن لهما مكانة كبيرة وأهمية عظيمة عند كل المسلمين، وأن هذه المكانة والقيمة لا تخص أحدا بعينه وإنما هي قضية إسلامية يجب أن تهم الجميع.

- **دراســة النحوي، (2007)، بعنوان: "فلسطين والقدس ودور الأمة المسلمة في حمايتها وحماية مقدساتها ومعالمها الأثرية والتاريخية الإسلامية"**

هدفت الدراسة إلى معرفة دور الأمة المسلمة في حماية فلسطين والقدس، وحماية مقدساتها ومعالمها التاريخية والأثرية، حيث استخدمت الدراسة المنهج التاريخي في تتبع النصوص وتحليلها ومقارنتها، حيث أوضح الباحث أهمية القدس وفلسطين بالنسبة للديانات الثلاث، وواجب الفلسطينيين والأمة العربية والإسلامية تجاه القضية الفلسطينية، وأوصت الدراسة بضرورة إبراز مكانة القدس والقضية الفلسطينية وتوضيح دور العالم العربي والإسلامي تجاهها.

- **دراسة الشوبكي، (2007)، بعنوان: "التغير السياسي من منظور حركات الإسلام السياسي في الضفة الغربية وقطاع غزة (حركة حماس نموذجا)"**

جاء اختيار الباحث للدراسة في موضوع التغيير السياسي من منظور حركات الإسلام السياسي في الضـــفة الغربية وقطاع غزة، كنتاج لعدة عوامل مثلت في مجملها أهمية هذه الأطروحة، فكان لتنامي حركات الإسلام السياسي عموما دور العامل الأول، فيما كان لانعكاس هذا التنامي على الحالة

الفلسطينية دور العامل الثاني هذه المتغيرات في ضوء عدم وجود تجربة سابقة للحكم أو المشاركة فيه من قبل تلك الحركات على المستوى الفلسطيني دفعت الباحث المحاولة الوقوف على تفاصيل مشروع التغيير السياسي لدى نموذج الدراسة حركة حماس.

في محاولة للوصول إلى هدف الدراسة، انطلق الباحث في فحص فرضياته التي يمكن إيجازها، في أن مشروع حركة حماس في التغيير السياسي وضمن حدود الدراسة الزمانية 2007–2000 يتضمن عدة أهداف تتمحور حول تغيير أسس النظام السياسي الفلسطيني ومرجعية السلطة والمنظمة، إضافة إلى إعادة صياغة معالم العلاقة مع الاحتلال الإسرائيلي. متأثرة هذه الأهداف – بجملة من العوامل مثلت تحديات وفرص ذلك المشروع.

أوصى الباحث في نهاية الأطروحة حماس بجملة من النقاط أهمها بلورة ثقافة سياسية حركية تتواءم مع موقعها الحالي، وأن تدرك أن للديمقراطية استحقاقات تابعة من مفاهيم التعددية والشراكة السياسية تتطلب من الحركة السعي لتحقيق أهدافها في ضوء التعاطي مع البرامج الأخرى بمنطق التكامل والتعاون إضافة إلى ضرورة تركيز حماس أثناء تواجدها في الحكومة على مشاريع تلامس احتياجات المواطن اليومية، كي تحافظ على نسبتها في الشارع. كما أشار إلى أهمية تعزيز مقومات الهدنة كخيار حماس الإدارة العلاقة مع إسرائيل، وترسيخ المفهوم الواسع للمقاومة بما يضمن عدم حصره في الجانب العسكري وانسجامه مع الحكم والبناء.

الإطار النظري

أولا: التطور التاريخي للصراع الفلسطيني

للصراع العسكري والاحتلالي على بيت المقدس عمر طويل يناهز الستة آلف عام، ويرجع ذلك إلى المكانة الدينية العظيمة لبيت المقدس كونها مبعث الكثير من الأنبياء والمرسلين، ومع تعدد أسماء ساكني القدس وكثرة الشارد والوارد عليها على مر العصور تظل القدس عربية حتى النخاع. (عيسى، 2021)

وعربية القدس قديمة قدم الأزل إذ أن المصادر التاريخية أثبتت أن أول من سكنها كان الكنعانيون منذ آلاف السنين، وقد ذكرت التوراة أصل الكنعانيون على أنهم أبناء كنعان بن حام بن نوح، وقد سكن الكنعانيون أرض فلسطين في القرن الرابع قبل الميلاد واقاموا حضارة عظيمة بها، والكنعانيون قبيلة من القبائل السامية متفرعة من الساميين الشماليين، ولفظ كنعان يقصد بها الأرض الشديدة الخشنة نسبة إلى صلابة أهلها. (حمدان، 1998 م)

ثم تبعهم بعد ذلك العموريون والذي قدموا إلى أرض فلسطين بعد الالفية الثالثة قبل الميلاد، وقد كانوا منتشرين في سوريا وبلاد ما بين النهرين وفي جزء كبير من فلسطين واستقروا فيها لحين الزحف الفرعوني نحو الشمال في العام 1600 قبل الميلاد، والعموريين هم أوائل العرب الذي قدموا إلى القسد وسكنوها واستوطنوا فيها، ونسب إليهم بناء المدن والقري واستيطان أراض فلسطين (حمدان، 1998).

وكان أو سكان القدس المتحدثون بالعربية هم اليبوسيون سكنوا المدينة واستوطنوا فيها قبل الميلاد بحوالي القرنين، وقد جاء ذكرهم في التوراة على أنهم مجموعة من العرب سكنوا أرض القدس بعد العموريين، وقد ورد أسماء بعض حكامهم العربية في بعض اللغات والحضارات القديمة كاللغة المصرية القديمة والحضارة الاشورية، ومن أهم ملوكهم الذين ذكروا في اللغات القديمة كان ملكي صادق والذي عاصر أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام. (عيسى، 2021)

ومن بعد ذلك جاءها بنو إسرائيل، وبنو إسرائيل هم أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وقد قطنوا فلسطين في بداية الالفية الثانية قبل الميلاد، وعلى هذا فإن بنوا إسرائيل ينحدرون من نسل نبي الله أبراهيم عليه السلام وكذا ينحدر من نسله العرب العدنانيين وهم نسل إسماعيل عليه السلام (حمدان، 1998)

ومن خلال ما سبق وان بيناه فإن وجود العرب في القدس واستيطانها والبقاء فيها سبق كثيراً تواجد بني إسرائيل بما يزيد عن أكثر من ألف سنة، وهو المستدل من المصادر التاريخية والعقلية المستمدة من وجود أحد حكام العرب المعاصر لإبراهيم عليه السلام، وإن إبراهيم لما هاجر أهل العراق نزل بمدينة حبرون والتي سميت بمدينة الخليل تكريماً له وعاش بين العرب هنا: أي من قبل ميلاد يعقوب وبنو إسرائيل، بل ورد في التوراة أنه لما ماتت سارة زوج إبراهيم عليه السلام لمم يكن لديه مدفن فذهب لحاكم المدينة عفرون بن صوحار وابتاع منه مدفن، وكان أول من دفن فيه سارة زوج إبراهيم عليه السلام (أبن كثير ، 1980).

وعلى هذا فإن التاريخ يثبت أن إبراهيم عليه السلام وبنيه عليهم السلام وزوجه لما قدموا إلى أرض كنعان أو القدس لم تكن صحراء جرداء أو أرضاً خالية بل قدمو إليها وهي مدينة كبيرة مهولة بالسكان بل أنها كانت مدينة ذات حضارة خصصت المقابر وعرفت الملكيات والبيع والشراء وتخصيص الحقوق والممتلكات وتنظيمها. (حمدان، 1998)

ومن بعد ذلك هاجر بنو إسرائيل إلى مصر كما جاء في سورة يوسق وايتوطنوا فيها إلى أن هجروها عائدين إلى القدس في عهد رمسيس الثاني في العام 1250 قبل الميلاد، هرباً من بطش فرعون بقيادة نبي الله موسى عليه السلام، ولما دخلوا القدس ووصلوا مشارفها وجدوها مهولة بالعرب، فرفضوا دخولها والاشتباك معهم فعصوا أوامر موسي، وهو ما ذكر في القرآن الكريم فقال أصدق القائلين وهو أرحم الراحمين " وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ، يَقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢) يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَسِرِينَ (0) قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَلِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٣) قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَٰهُنَا قَاعِدُونَ (11) قَالَ رَبِّ

إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) [المائدة: ٢٠ – ٢٦]

وقد تاهو في الأرض فحرمت عليهم أرعين سنة لحين عودتهم إليها بقيادة يوشع بن نون والذي قادهم لاحتلال اريحا عام 1189 ق.م، ولم يدخلوا القدس إلا بعد ذلك بمدة بقيادة يهوذا والذي اقتصر زحفه على السيطرة على بعض المناطق القاحلة السهول الفقيرة ولم تسقط القدس بالكامل في ايد بني إسرائيل إلا في عهد نبي الله داود عليه السلام (شاهين، 2010).

ومن خلال السرد التاريخ يظهر الأصل العربي للأراضي الفلسطينية ومدى عربيتها وقدسيتها في الإسلام فالقدس أرض عربية إسلامية أولها لنا وأخرها لنا وأن المحتل الغاصب ليس ذي حق، فالقدس منبعها عربي واصلها عربي قطنها العرب واستوطنوها.

ثانياً: أساس القضية الفلسطينية

هيمنت القضية الفلسطينية ونتائجها على الشؤون اليومية في منطقتنا العربية والإسلامية، بل وفي كثير من الأحيان في جميع أنحاء العالم، طوال أكثر من خمسين عاما على مختلف الأصعدة الإنسانية والسياسية والعسكرية والاقتصادية.

ومن المهم عند الحديث عن القضية الفلسطينية أن نتذكر أصولها التي تعود إلى أهداف اليهود الغربيين في الأراضي الفلسطينية خلال العصر الحديث منذ عام 1530م، في ذلك الوقت، كان اليهود الغربيون يحاولون الهروب من الاضطهاد من الغرب، وحاول اليهودي الإيطالي جوزيف ناسي القيام بذلك. في ذلك الوقت، كان يُعتقد أن أغنى رجل على وجه الأرض يجب أن ينشئ مستعمرة حيث يمكن لليهود الغربيين البحث عن الأمان، وقد نجح، كما نجح آخرون مثله، في شراء بعض الأراضي في منطقة طبرية من السلطان العثماني، وسُمح لهم بتقسيم المستعمرات إلى مناطق مختلفة، بما في ذلك طبريا، نتيجة الصفقة التي تمت مقابل سداد ديون الدولة، استجاب الناس العاديون لأنشطة البيع هذه بعدد من الانتفاضات المباشرة، وعلى الرغم من أن

العثمانيين ومع قمع الجيش لهذه المقاومة الشعبية بوحشية، فإن صمود الشعب على مدى مئات السنين شجع المزيد من المشاريع على نفس المنوال. (الحوت، 1991)

إن فلسطين، أو ما يسمى بأرض الميعاد، والتي تعتبر الوطن الديني لجميع اليهود في جميع أنحاء العالم، هي التي أدت إلى ظهور مفهوم الوطن التاريخي في القرن التاسع عشر. بدأ اليهود بالهجرة إلى فلسطين، واتخذوا قرار اغتصاب الأراضي الفلسطينية باستخدام مجموعة متنوعة من الاستراتيجيات.

ونتيجة لهذا فإن أصول المشكلة الفلسطينية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بصعود الصهيونية، والهجرة اليهودية إلى فلسطين، والدور الذي لعبته الدول الكبرى في الشؤون الإقليمية. ونتيجة لذلك فإن المشكلة الفلسطينية تتعلق في المقام الأول باللاجئين الفلسطينيين، وشرعية إسرائيل، واحتلالها المتعدد المراحل للأراضي الفلسطينية. كما أننا لا نستبعد أهمية قرارات الأمم المتحدة في هذه العملية. القراران (242) و (338) مثلا.

بدأ اليهود الغربيون في تبني مفاهيم جديدة لاستعمار المناطق الفلسطينية في ثمانينيات القرن التاسع عشر، بناءً على فكرة أن القوة المسلحة ستحل محل المحاولات السلمية للسيطرة. وكانت الحركة الصهيونية العالمية من أكبر الذين تبنوا هذه النظرية التي رأت أن "اليوم الذي نجمع فيه كتيبة يهودية واحدة هو اليوم الذي تصبح فيه دولتنا"، وأثارت هذه الحركة شبه العسكرية رد فعل غير منظم بين السكان المحليين في البداية، لكنها سرعان ما تطورت إلى حركة سياسية منظمة يغذيها الغضب الشعبي ضد تلك المحاولات الصهيونية، وهو ما لا يزال يعرف بالثورة الفلسطينية الحديثة.

ولقد كان نضال الشعب الفلسطيني السياسي والمسلح، متمثلاً في الجهود والقرارات والمواقف التاريخية الوطنية والعربية والإسلامية والدولية الداعمة له، جزءاً من تلك الثورة، وقد اتخذ الأول شكل الانتفاضة المسلحة بكل أشكالها، التي قدمها الشعب وبلاده تجهلها، ويرى أن الطريق إلى تحقيق الذات يمكن تلخيصه بمصطلح "الحروب الفلسطينية" أو "الحرب". (دروزة، 1979)

ثالثاً: أهمية القضية الفلسطينية

في البداية لا بد من الاعتراف بأن إحدى أكبر وصـــمات هذا القرن – التي شـــارفت على الانتهاء – هي القضـية الفلسـطينية، يحمل هذا القرن الكثير من بقع العار على جبهته، مثل الحربين المدمرتين اللتين وقعتا فيه، والحكومات العديدة التي وقعت تحت حكم حكومة فاسـدة والعميلة التي تتسـم بالقمع والظلم والاضـطهاد في هذا القرن، وهناك الكثير من مواضـيع القبح التي حدثت في هذا القرن والتي اتسـمت أيضـا بأن لها فوائد أخرى، لكنها ليسـت موضـوع حديثنا في هذا الوقت، ولكن ربما تكون المشـكلة الفلسـطينية هي الأكثر إثارة للاشمئزاز على الإطلاق، وهذا نتيجة طردهم مجموعة من الناس من أمتهم، فلقد استبدلوا شعب ذلك الشعب بمجموعة صـغيرة من الأشـخاص الذين جمعوهم من جميع أنحاء العالم، والتأكيد هو أن القطع التي جمعوها من جميع أنحاء العالم هي جزء من عنصـر واحد، هو العنصـر الإسرائيلي أو اليهودي، وهذا يعني أن الفعل المعني والمقصود هو عمل عنصري حقير مؤسف لكل من يمارسه، مهما كان صغيرا، ومن هي الجهة التي قامت بهذا الفعل، رغم أنها مارسته على المستوى الوطني؟ وفي الواقع هما أمريكا أولاً، ثم بريطانيا. (الشريف، 2003)

وقد لفت انتباهنا أن البعض يحاسـبنا على القضـية الفلسـطينية، مشـيرين إلى أن الحديث قد انتهى وإغلاق القضـية. أنا أزعم أن هذه المشـكلة لم يتم حلها أبدًا، وأنه على الرغم مما قد يعتقدونه، فإن الفلسـطينيين – أصحاب الأراضي وذريتهم – لن يعيشوا كأقلية مضطهدة داخل بلدهم أو خارجه إلى الأبد مضطهدين، وهؤلاء المحتلون الأجانب يبقون هناك؟ وهذا أمر مسـتحيل، فحتى الدول التي كانت تحكمها قوة أخرى لمدة قرن من الزمان، مثل كازاخستان وجورجيا، وهما من بين دول آسيا الوسطى التي حصلت للتو على الاستقلال، كانت تحت السيطرة الروسية والسوفياتية في وقت أو آخر قبل قيام الاتحاد. شكلت. اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية. استعادت هذه الدول حريتها وتم لم شملها مع عائلاتها وسكانها. ولذلك فإن عودة فلسطين إلى الشعب الفلسطيني ليست مستبعدة، بل هي حتمية، وستحدث إن شاء الله، وبالتالي فإن فكرة أن المشكلة الفلسطينية انتهت وتم حلها هي فكرة باطلة، والأمر لم ينغلق.

إن الاستفادة من كلمة "السلام" الجميلة هي إحدى الاستراتيجيات التي يستخدمها الصهاينة وغيرهم من الذين يدافعون عنهم، وعلى رأسهم الولايات المتحدة، يتحدثون كثيراً عن السلام ويطالبون به، ولكن أين هو ومع

من؟ الشخص الذي يقتحم منزلك بالقوة، ويضربك، ويسيء معاملة زوجتك وأطفالك، وكل ذلك وهو يتهمك بأنك ضده أو أنك تشتكي منه. (أبو غزالة، 1971)

يريدك أن تقوم بالتعويض وتحقيق الانسجام، هل هناك سلام الآن؟ المصالحة ممكنة إذا استمر القتال بين الطرفين وخرج المحتل من وطنه المغتصب. ولكن بعد كل الجرائم التي ارتكبها، لم يكن الغاصب ليتمكن من منع العدو الصهيوني من غزو الجنوب كل يوم لو بقي في البيت. لبنان، وكما فعل قبل بضعة أيام عندما ضرب مدرسة هناك وقتل عدداً من الأطفال، فهو يهاجم مجتمعات البلاد ومدارسها بدلاً من المقاتلين اللبنانيين. هؤلاء الأفراد لم يحققوا السلام ولم يشاركوا في أي عمل عسكري، ومع ذلك، فهذه هي طبيعة المعتدي، لقد ذبح الصهاينة من لم يقاومهم، أو على الأقل هؤلاء الضحايا لم يقاوموهم، باستثناء الشباب العربي الحاسد، عندما اجتاحوا لبنان، كما ارتكبوا مجازر في دير ياسين ومواقع أخرى، وقاموا لمقاتلتهم بسبب أنشطتهم غير القانونية واحتلال أراضيهم، ولم يستخدموا القوة ضد الأهالي الذين تعرضوا لكل ذلك الاضطهاد والظلم منهم، الذين قتلوا وطردوا من مزارعهم وبيوتهم، مما يدل على أن هذا الحكم كان عدائيا في طابعه. (الحروب، 2001)

كانت المبادئ الأساسية للمنظمة الصهيونية هي الوحشية والقمع والقسوة. لا يمكن ولن يكون قادرًا على الوجود بدون هذه التقنيات، ما هو نوع السلام الذي يطلبونه هنا؟ ولن يعارضهم أحد إذا تم اقتناعهم بحقوقهم، وإعادة فلسطين إلى أصحابها الشرعيين، والمضي قدمًا كما هي، أو إذا طلبوا الإذن من الحكومة الفلسطينية بالإقامة على كل هذه الأرض أو جزء منها. أما فيما يتعلق بالصراع المستمر، فقد بدأ عندما استولوا بالقوة على منزل شخص آخر، وطردوا سكانه منه، ويستمرون في مضايقتهم وشن الحرب على الدول الأخرى، إنهم يطلبون السلام لأنهم يعتقدون أنه سيكون بمثابة ذريعة لمزيد من الهجوم الذي سيزيدون من تحريفه والمنطقة مهددة منهم. (الشريف، 2003)

رابعاً: قطعية المكانة الشرعية للأراضي الفلسطينية

إن المجموعات الاستيطانية اليهودية أو كامل الطائفة اليهودية التي تعيش في الأراضي المحتلة ما هي إلا جانب واحد من الصراع التاريخي والحضاري الذي هي القضية الفلسطينية، بالإضافة إلى أن عمق هذه المشكلة ونطاقها يتجاوز ذلك بكثير.

وهذا يعني أنه، على الأقل بين المسلمين الذين ينظرون إلى معركتهم مع اليهود على أنها صراع بين الحق والباطل، لا بد من التأكيد على عمق هذا الصراع العربي الصهيوني وحقيقة جذوره الدينية والحضارية.

والأصل القانوني واسع النطاق ويتم استخلاصه من مجموعة كبيرة من النصوص القانونية المعروفة باسم "القرآن والحديث"، والتي تشكل معًا نوعًا من الاستمرارية الأخلاقية وتمثل حكمًا نهائيًا ومحددًا وجوهريًا بشأن الوضع الإسلامي للقدس بشكل خاص، وبلاد الشام عموماً، وتتمثل هذه المكانة في أن العقلية الإسلامية حظيت على مدى التاريخ الإسلامي بالاهتمام والرعاية.

ورغم طهارة المسجدين المكي والمدني في نفوس المسلمين، إلا أن هذا البلد الذي حدده الرسول الأعظم بأنه معقل الإسلام في فترة شديدة الابتلاءات والفتن، لم يتم التطرق إليه هنا. فأخبرهم سلمة بن نفيل، عن جبير بن نفير، أنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن سلمت الخيل وألقيت السلاح ووضعت الحرب أوزارها قلت: لا قتال، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: الآن جاء القتال، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس، يرفع الله قلوب أقوام فيقاتلونهم، ويرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله عز وجل وهم على ذلك، ألا إن عقر دار المؤمنين الشام، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وفي رواية أخرى، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بينما أنا نائم إذا رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهوب به، فأتبعته بصري فعمد به إلى الشام، إلا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام. (الصلاحات، 2010)

ومن المهم أن نتذكر أن فلسطين هي مسقط رأس الأنبياء عليهم السلام، وقد سكن هذه المناطق الأنبياء عيسى عليه السلام، وزكريا، ويحيى، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، ولوط، وداوود، وسليمان، وصالح، وزكريا، فهذه البلاد المقدسة موطن للأضرحة وتشرفت بزيارة رسولنا الكريم محمد صلى

الله عليه وسلم، وربما لما تتضمنه هذه الرحلة من أسرار سماوية، يكفي أن تكون قبور الأنبياء والصالحين موقعاً للإسراء والمعراج.

والاستقراء التاريخي يؤيد هذا الاستقراء الشرعي، الذي يؤكد بالتأكيد أهمية هذا المكان المقدس في نفوس المسلمين، وهي الحقيقة التي استهدفها أعداء الإسلام منذ بداية الزمن.

خامساً: فوائد رؤية القضية الفلسطينية من منظور الشريعة الإسلامية

هذه البنية المعرفية المتطورة لتقدير فضائل الشريعة وكتبها المقدسة، أنشأها فقهاء الشريعة والأصوليون المذهبيون الإسلاميون. وهذا منهج جديد في المذاهب والمبادئ الشرعية والتشريعية لم نلاحظه إلا حديثا، بعد نجاح العقلية الإسلامية في لفت الانتباه إلى هذا الفهم الثاقب في فهم جوهر النص والتعمق في أعماقه، وعلى حد قول الشاطبي الذي يقول إن القوانين إنما توضع لمصلحة الرعية في المدى القريب والبعيد، فقد ربط خصوصيات الشريعة الإسلامية بمبادئها العامة، وأكد أنها تنزيل العزيز الحميد.

كل هذا يقودنا إلى نتيجة مفادها أن البحث في القضية الفلسطينية، التي تتطور دائما من وجهة نظر الشريعة الإسلامية، يقدم جملة من المزايا، أبرزها:

- **تحديد ثوابت القضية الفلسطينية من وجهة نظر شرعية:**

وذلك لقناعة بأن جزئيات الشريعة وكلياتها مترابطة، وأن هذه العلاقة الطبيعية المتماسكة تساعد العالم والفقيه والمفتي على فهم الوقائع والحوادث المستجدة وربطها بالإطار القانوني المبني على الشريعة ومقاصد الشريعة، مما يسهل الفهم القانوني الدقيق للحادثة أو الوقائع. الجمع بين مبادئ الشريعة العامة وخصوصياتها كما يؤكد ابن عاشور، فإن بناء المقاصد على وصف الشريعة الإسلامية الأعظم، وهو الفطرة، يساعد على النظر إلى الحقائق المتناثرة والطارئة ضمن الإطار العام للمسألة وضمن الثوابت الراسخة في الفكر الإسلامي، وهذا مفيد بشكل خاص لأن الطبيعة السلمية للإنسان تتطلب هذا الأمر وتحتاجه. (ابن عاشور، 2001)

وإن الاقتراب من جوهر الصراع مع الصهاينة وتجنب الخلافات الجانبية، كما كان الحال في القتال بين القوات الفلسطينية والعربية خلال الفترة التي كان القتال يستهدف في البداية المحتل الصهيوني، كما كان الحال في الحرب بين التنظيمات الفلسطينية والجيش الأردني في أيلول/سبتمبر 1970، أو في الحرب الأهلية اللبنانية (1975–1990)، والاستخدام غير المناسب للموارد المالية والبشرية، وفقدان العديد من الأرواح والأموال، والغرض من الحياة والمال، كلها ساهمت في هذه الحرب. انهيار جهود المحتل.

فالطلب الأعلى أهم من طلب الأدنى، وكما يرى ابن عبد السلام "لا يجوز تأخير حق يجب على الفور لأمر محتمل"، أو الهوس بالانتخابات البلدية أو النقابية الفلسطينية على حساب المصلحة في المسجد الأقصى واليهود المتطرفين مختبئين هناك. (صالح، 2003)

إن التمييز بين القطعي والظني في المبادئ والأحكام، أو في الثوابت والمتغيرات، هو أحد الآثار الإيجابية لواقع القضية الفلسطينية في هذا الصدد. وذلك على النقيض من إلغاء بعض أحكام ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية نتيجة اتفاقات أوسلو عام 1993، التي كانت تقضي بالاعتراف بدولة الاحتلال الصهيوني، كما يقول الضابط الأصولي أن تحديد الأهداف أهم من تحديد الوسائل، أي أن الأهداف تفشل عندما تفشل الوسائل، وثوابت القضية الفلسطينية لا تختفي مع الهوامش والمصالح المفترضة.

والثوابت العامة للقضية لا تشمل فقط القبول بدولة فلسطينية على حدود أراضي 1967 أو إعلان هدنة مع الصهاينة، بل أيضا دائرة المتغيرات والأحداث اليومية، التي يقدر أن تشمل أمورا مثل عدم الاعتراف بالصهاينة، ورفض التنازل عن القدس وحق اللاجئين في العودة وغيرها من الثوابت القانونية.

وهذا يستلزم وجود فهم حقيقي ومشروع للقضية الفلسطينية، مما يسهل قدرة المراقب والمحلل على الربط السليم بين أسباب المشكلة والتهديدات التي يخطط العدو لفرضها على المسلمين. كما أنه يسمح بتقييم الوضع من منطلق تقديم الأولوية وتحديد الهدف من وراءها، وهو ما قصده الأصوليون عندما قالوا إن المصلحة الأهم يجب أن تأتي أولا. ومن الواضح أن مصلحة الجهاد في سبيل الله

تتفوق على مصلحة الإيثار وبناء البيوت من خلال تقديم أقل الأمور أهمية. كما أنه يضع الضروري قبل الأفضل والمحتاج. (الوكيلي، 1997)

- **عدم انشغال الجماهير بالشعارات المزيفة أو الدخيلة:**

ومن الأمثلة على ذلك الرايات العلمانية والاشـــتراكية والقومية التي اكتســـبت زخماً في الســـتينيات والســـبعينيات ولكنها تضـــاءلت تدريجياً خلال فترة الصـــحوة الإســـلامية، وقيادة جماعات المقاومة الفلسطينية والقوى الشعبية العربية والإسلامية للخطاب الإسلامي.

وتعطى الأولوية للأولويات والضـــروريات الأســـاســـية، مثل تلبية احتياجات الناس الروحية والإيمانية والتعبدية، على حساب الشعارات الجذابة والتنظير الخلاب، وذلك لأن ما يخشى ضياعه أحق بالتقديم مما لا يخشى ضياعه، أو بمعنى آخر "الحفاظ على ما هو أهم من جمع ما ضاع". (صالح، 2003) وأحدهما الآخر هو الامتناع عن تقديم الأعذار على الدوام، أو ما يعرف بحديث الترشـــيد، عن كل انتكاسة أو تقصير في الحرب ضد العدو الصهيوني. ولا شك أن هذه المسألة تنبع من الافتقار إلى الوضـــوح والدقة في التفســـير التحليلي والتنبؤي للمســـتقبل. لقد رافقت لغة الترشـــيد التي ابتعدت عن التقييم أو التقدير إخفاقات الأنظمة العربية مع العدو الصـــهيوني في أعوام 1948 و1967 و1982 من القرن العشرين.

- **إبقاء الفقه والفكر السياسي الإسلامي قريبا من المجالات الحياتية:**

لا بد من التخلص من التقليدية والســـطحية لمعالجة الأمور، وهو ما كان عليه المســـلمين في اتباع أمورهم الإبداعية والعقلانية، وهو عكس ما يدعي به العلمانيون الدين الإســـلامي، حيث أنهم قالوا أن الدين الإسلامي والمسلمين مقصرين في تلبية متطلبات الحياة.

بالإضـــافة إلى أنهم عابوا على المســـلمين الملتزمين في فترة المد اليســـاري والشـــيوعي، فنعتوهم بالرجعيين والمتخلفين وغيرها من الأوصـــاف الخاطئة، مما يشـــير إلى رفض اللجوء إلى الجزئيات الفكرية وهوامشـها، وإبقاء الأمة معتمدة بصـورة كلية على الإنجازات التي يقوم بها الآخرون، وتبعيتهم بدون تفكير في جميع النواحي الاجتماعية والاقتصـــادية وغيرها، وهو ما يحدث الآن في بعض المراحل الخاصة بالقضية الفلسطينية.

- **التقارب بين القيادة الشرعية العلمية بين الكوادر العاملة في الميدان:**

هذا التقارب هو ما يثبت الجهود والطاقات المبذولة في القضـــية الفلســـطينية، حيث يكون الاجتهاد السياسي معتمد بصورة رئيسية على مالكي النظرة الشرعية والسياسية الصحيحة، فنجد أن الجماعات الإســـلامية ذات توجه العنف وحمل الســـلاح، خاصـــة خارج دولة فلســـطين، من انفصـــال للقيادات الميدانية عن الفكر الشرعي القويم، مما يدخلها في أفعال مستنكرة في الشريعة الإسلامية. (الجويني، 1999)

سادسا: بروز أهداف الشريعة الإسلامية ومقاصدها في القضية الفلسطينية

هناك خمس أهداف وضـروريات استحوذت على مساحة كبيرة في الوقائع التي تمر بها القضـية الفلسـطينية، وتتمثل هذه المقاصد أو الضروريات فيما يلي:

- **ضروري الدين:**

والتي تتمثل في أن يتم حفظ الدين للمسـلمين من أن يفسـد أو يتم التدخل فيه باعتقادات أخرى تفسـد أهدافه ومقاصـده، ويتم حفظ الدين من خلال دفع كل ما يمكن أن ينقض أصـول الشـريعة الإسـلامية، ومن ضـــمنها حماية البيضـــة والذب عن الحوزة الإســـلامية، وذلك عن طريق تلقي الدين من الأمة الحاضر والمستقبل. (ابن عاشور، 2001)

ونحن نرى تحديات في واقع ضـروري الدين بين المسـلمين أنفسـهم، وهذا واقع في المجتمعات العربية والإســلامية المعاصــرة، عندما نتناول ضــرورة الدين، كما ســيأتي لاحقاً. كما نرى إضــافة إلى أزمة الاحتلال وأبعادها الأيديولوجية والدينية الواضـحة، أي أن بقية الضـروريات تتضـمن نفس المعلومات التي ذكرت في ضـروري الدين، سواء مشاكل من واقع المسلمين في الداخل وكذلك معوقات خارجية للاحتلال.

ويمكن فهم الحرب العربية الصـهيونية، إلى أقصـى درجة ممكنة، على أنها صـراع حضـاري لاهوتي مع حاجة إلى دين تحددها ثلاث سمات أساسية: المكان، والإنسان، والزمان. (ابن عاشور، 2001)

- **ضروري النفس:**

لا يختلف ضروري النفس عن الدين، حيث أشار ابن عاشور في ذلك: "حفز النفوس حفظ الأرواح من التلف أفرادا وعموما، لأن العالم مركب من أفراد الإنسان، وفي كل نفس خصائصها التي بها بعض قوام العالم". (ابن عاشور، 2011)

وفي هذا الصراع، يتجلى ذلك بطرق عديدة ومتنوعة، منها على سبيل المثال، يتم تصويره في استشهاد المسلمين على يد المحتلين الصهاينة، سواء من خلال المجازر أو سقوط الجرحى والمعاقين، وهو أيضاً اعتداء على النفس الإنسانية لأن عشرات الآلاف من الجرحى والمعاقين، وبالمثل، في قطاع الأسرى، اعتقل الصهاينة أكثر من نصف مليون فلسطيني بين بداية الانتفاضة الأولى عامي 1987 و2005؛ بحسب تقرير لمنظمة أصدقاء الإنسان الدولية.

بالإضافة إلى مجموعة أخرى من أساليب التعذيب في السجون والتمثيل في الجثث، والجواسيس وغيرها من ضروري النفس. (الخفش، عبيد، 2010)

- **ضروري العقل:**

إن حفظ عقول الناس من الخلل والاضطراب ضروري، فدخول الخلل على العقل يؤدي إلى فساده وعدم انضباط تصرفاته. (ابن عاشور، 2001)

وهو من أبرز مظاهر التمييز بين المنهج الإسلامي وغيره من التوجهات التي يتبعها العلمانيون واليساريون والقوميون في التعامل مع العدو الصهيوني في احتلاله لأرض المسلمين فلسطين، وهو في حقيقته حركة استعمارية، ومن المهم في هذا المنصب أن يكون المرء مسؤولاً عن تحمل تبعات هذا الصراع وآثاره.

حيث أن المشرع الإسلامي التحرري قد استند إلى مجموعة من الرؤى الشرعية، تلك الرؤى تقوم في الأساس على تعاليم كتاب الله عز وجل وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام، وكذلك يعتمد على قدسية الأراضي الفلسطينية وغيرها.

إضافة إلى ذلك، يدعو السكان المسلمين أو تنظيم الدولة الإسلامية إلى الخوف واطمئنان البال ورفض التطبيع معه على مختلف المستويات، وهذا لا يتم إلا بالتوعية، هذه ليست سوى اثنين من مظاهره، والأمر الآخر هو تعزيز التعبئة الوطنية بين الجماهير ضد العدو الصهيوني بكافة الوسائل

والأدوات، بما في ذلك التعليم والتربية والإعلام والثقافة والاقتصاد والسياسة. وهي شاملة للعقلية الإسلامية، ومن أشكالها أيضاً محاربة المؤامرات الصهيونية لعرقلة برامج التعليم والتربية، وتعزيز التعليم في الكليات والجامعات والمدارس، ومحاولة القضاء على الأمية. (الصلاحات، 2010)

- **ضروري المال:**

تتمثل في حفظ أموال الأمة من التلف والفساد والخروج من أيدي الأمة بدون عوض وحفظ جزء من المال المعتبرة من التلف بدون عوض، وهناك العديد من الأمثال والصور لضروري المال في ظل هذه القضية، ومن أبرزها ضرورة الدعم المال لأهل فلسطين، حيث أشار ابن تيمية في ذلك: "ومن عجز عن الجهاد ببدنه، وقدر على الجهاد بماله، وجب عليه الجهاد بماله". (ابن تيمية، د.ن)

وعلى سبيل المثال من ضروري المال: حرمة بيع الأراضي الفلسطينية لأي إسرائيلي، وهو ما يزيد من تهويد الأراضي الإسلامية وضياع الهوية الإسلامية، فمنذ نشأة الكيان الصهيوني وحتى عام 2004، تم تدمير ما يقرب من 249 موقع مقدس سواء كان للمسلمين أو المسيحيين، بالإضافة إلى قضية اللاجئين التي تعتبر من جانب العدو حرب استقلال، حيث تم طرد العديد من الفلسطينيين من 530 مدينة فلسطينية وقرى فلسطينية وغيرها من أمور التخطيط العرقي التي خطط لها الصهاينة في التاريخ الحديث. (الزحيلي، 1997)

وقد تم عمل تقرير الأول من نوعه من قبل مجموعة (فورسايت الاستراتيجية) لإجراء عملية حسابية تفصيلية لتكلفة الصراعات في منطقة الشرق الأوسط، حيث أشار التقرير إلى أن الدول في منطقة الشرق الأوسط متورطة بصورة كبيرة في النزاعات الإسرائيلية الفلسطينية، وكذلك النزاعات الداخلية في لبنان وغزو الولايات المتحدة للعراق، حيث تم خسارة ما يقرب من 12 ألف مليار دولار في الفترة ما بين 1991 و2010. (جريدة السفير، 2009)

- **ضروري النسل:**

مثله مثل الضروريات الأخرى، فله العديد من الصور، إلا أن أبرز هذه الصور متمثل في الصراع السكاني ما بين العرب والصهاينة، ويطلق على هذا الصراع المشكلة الديموغرافية، خاصة في ظل الزيادة السكانية للعرب، وانخفاض مستوى السكان أو النسل لدة الصهاينة.

فمن السهل أن نجد دائما أن النمو السكاني دائما ما يصب في مصلحة العرب، فنجد أن نسبته عند العرب 2.9%، واليهود نسبته 1.8% في عام 2009، ونجد أيضا أن معدلات الخصوبة لدى الشعب الفلسطيني مرتفعة، حيث تصل إلى 4.6، ولدى اليهود 2.6 لعام 2007. (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2010)

ومن أمثال ضروري النسل كذلك هجرة اليهوديين بهدف زيادة تغطية المعضلة الاستراتيجية في الفكر العنصري اليهودي، وكذلك العمل على طرد العرب من الأراضي الفلسطينية بالإجبار، ونجد أن الصهاينة قد ارتكبوا أكثر من 35 مجزرة في حق الشعب الفلسطيني للاستيلاء على الأرض الفلسطينية. (الشاطبي، 2001)

ومن خلال ما ذكرناه، يعتبر ذلك أحد الأشكال التي تواجهها القضية الفلسطينية، والتي تعد الأساس في الإشكاليات السياسية التي تندرج تحت واقع الصراعات، وهناك المئات من الطرق الأخرى غير المباشرة التي يمكن الاستعانة بها مع هذه الضروريات، والتي عبر عنها الأصوليون بمصطلح الحاجيات أو التحسينيات، وهي جميعا أفعال تساند هذه الضروريات.

المراجع:

- النحوي، عدنان، 2007، فلسطين والقدس ودور الأمة المسلمة في حمايتها وحماية مقدساتها ومعالمها الأثرية والتاريخية الإسلامية، المؤتمر الدولي الأول لنصرة القدس، غزة، قدس نت للدراسات والإعلام والنشر الإلكتروني.
- مراد، عودة سليمان، النصرات، راكان يعقوب، 2015، واقع القضية الفلسطينية في مبحثي الثقافة الإسلامية والثقافة العامة في المرحلة الثانوية واتجاهات الطلبة نحو القدس في المدارس الأردنية، مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة المنصورة، عدد 27.
- العامودي، عبهرة، 2009، أهمية القدس في القرآن الكريم والسنة، بحث مقدم لمؤتمر القدس بعنوان: القدس بين سياسات التهويد وبرنامج الصمود والمقاومة، جمعية أساتذة الجامعات، غزة.
- عياش، حسن، 2009، المسجد والأقصى وقبة الصخرة وقيمتها الدينية ومكانتها في نفوس المسلمين، مجلة جامعة القدس المفتوحة، العدد 18.
- الشوبكي، بلال محمود محمد، 2007، التغير السياسي من منظور حركات الإسلام السياسي في الضفة الغربية وقطاع غزة (حركة حماس نموذجا)، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين.
- أبو زيد، وصفي عاشور، 2022، مقاصد الشريعة مدخلا في جمع الكلمة لتحرير فلسطين، مجلة المرقاة، المجلد 9، العدد 9.
- الصلاحات، سامي، 2010، فلسطين: دراسات من منظور مقاصد الشريعة الإسلامية، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، الأردن، الطبعة الثانية.
- ملحم، محمد همام، 2019، القواعد المقاصدية في تصنيف الأولويات وتطبيقاتها في القضية الفلسطينية، دار النداء، إسطنبول، الطبعة الأولى.
- الحوت، بيان، 1991، فلسطين، القضية، الشعب، الحضارة (التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين 1917)، دار الاستقلال، بيروت.

- دروزة، محمد، 1979، العدوان الإسـرائيلي القديم والعدوان الإسـرائيلي الحديث على فلسـطين، دار الكلمة للنشر، بيروت.
- الشريف، ماهر، 2003، القضية الفلسطينية في الكتابة التاريخية العربية هل هناك حاجة إلى تأريخ جديد، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، المجلد 14، العدد 55.
- أبو غزالة، عدنان، 1971، المؤرخون الفلسـطينيون العرب خلال فترة الانتداب البريطاني، شـؤون فلسطينية، العدد 2.
- الحروب، خالد، 2001، المؤرخون الجدد الفلسـطينيون والإسـرائيليون: وجهة نظر، مجلة الدراسـات الفلسطينية، العدد 48.
- ابن عاشور، 2001، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: محمد الميساوي، ط2، عمان، دار النفائس.
- صالح، عمر، 2003، مقاصد الشريعة عند الإمام العز بن عبد السلام، عمان، دار النفائس.
- الوكيلي، محمد، 1997، فقه الأولويات، واشنطن، المعهد العالي للفكر الإسلامي.
- الجويني، 1999، التحقيقات في شرح الورقات، تحقيق: الشريف سعد، عمان، دار النفائس.
- أ.د/ عوض سعد محمود عيسى، د مصطفى محمد عبد النبي عوض، د صلاح عبد المولى السيد الشورى، د الحسيني حسن حماد، 2021، ملامح من تاريخ القدس عبر العصور، هيئة كبار علماء الازهر الشريف، الطبعة الأولى ص 9.
- جمال حمدان: "اليهود أنثروبولوجيا"، تقديم: عبد الوهاب المسيري الهيئة المصرية العامة للكتاب الأعمال الفكرية) ، 1998.
- ابن كثر (اساعيل بن عمر القرشى): "البداية والنهاية"، مكتبة المعارف (بيروت – لبنان، ط 1980، ص 3
- علاء الدين عبد المحسن شاهني: "القدس في المصادر النصية والاثرية قبل الالف الأولى من الميلاد، ضمن ندوة بعنوان القدس، عرب عصور التاريخ، حصاد ،18 منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، 2010م

- الخفش، فؤاد، عبيد، غشـــان، 2010، تقرير بعنوان: وراء الشـــمس، أصـــدقاء الإنســـان الدولية، http://www.friendsofhumanity.info/ar/index.php?pagess=main&id=138
- فتاوى ابن تيمية، الجزء الرابع، نقلا عن: محمد هيكل، 1993، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، بيروت، دار البيارق، الجزء 2.
- الزحيلي، وهبة، 1997، نظرية الضرورة في الشرعية، ط 4، دمشق، دار الفكر.
- نقلا عن جريدة السفير، بيروت، 1/22/ 2009.
- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، عشية العام الجديد 2010، الإحصاء الفلسطيني يستعرض أوضـــاع الســـكان الفلســـطينيين في العالم نهاية عام 2009، 2009/12/29، في: http://www.pebs.gov.ps/Portals/_pebs/PressRelease/pop_2009-A.pdf
و Central Bureau of statistics (CBS): http://wwwl.ebs.gov.il/www/yarhon/bl_e.htm
- الشاطبي، 2001، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: عبد الله دراز، ط 5، بيروت، دار المعرفة.